

محاضرة الفرقة الثانية قسم تاريخ

ا.م.د/ تيسير محمد شادي

العلوم المساعدة للتاريخ :

- علم الجغرافيا وصلته بالتاريخ .
- علم الخرائط التاريخية .
- علم اللغات أو الألسن .
- علم الآثار .
- علم الوثائق .
- علم النقود أو النميات
- علم النقوش الكتابية .
- علم الأنساب .
- علم الاقتصاد .
- الديموغرافيا (علم السكان) .
- علم الاجتماع .
- علم الإحصاء .
- علم النفس .
- الأدب .
- الفنون .

العلوم المساعدة للتاريخ

لا يستطيع الباحث في أي فرع من فروع العلوم الاجتماعية والإنسانية أن يقوم بدراسة موضوعية في تخصصه دون أن يمر على التاريخ ويستفيد من حركته الاجتماعية ، كما يحتاج المؤرخ في أبحاثه إلى الاعتماد على بعض العلوم المساعدة التي تسهل له فهم حركة التاريخ وتبين مساراته ، وليس من الضروري أن يستخدم المؤرخ كل العلوم المساعدة عند إعداد أبحاثه ، لكنه يمكن أن يستفيد منها طبقاً لمقتضى الحال ، بما يخدم الموضوع الذي يدرسه أو المرحلة التاريخية التي يعالجها ، فمن الممكن أن يستخدم المؤرخ أحد العلوم المساعدة عند دراسته لموضوع معين ولا يستخدم هذا العلم المساعد عند دراسة موضوع آخر أو يستخدمه بشكل محدود، ومن أهم العلوم المساعدة التي يستفيد منها الباحث في التاريخ ما يأتي:

١ - الكرونولوجيا ، أو علم التوقيت:

وهو في تعريفه العام ، العلم الذي يبحث في الزمن بصفته بعداً يقاس من أبعاد الوجود الإنساني فمن الملاحظ أن حياة الإنسان تجري في الزمن ، وفي الزمن تتالي الأحداث وأنماط التفكير ، ونشاطات الإنسان ، التي يكون مجموعها التاريخ العالم ، ومن خلال الزمن يكتب الإنسان التاريخ. ولكن يجب أولاً التمييز بين الكرونولوجيا الفلكية والكرونولوجيا المسماة بالتقنية فالأولى ، تبحث في الزمن كما تحدده حركة الفلك ، وهذه الحركة تفرض على الحياة الأرضية ثلاث وحدات لقياس الزمن ، وهي : اليوم والشهر والسنة، أما الثانية وهي الكرونولوجيا التقنية ، وهي المساعدة للتاريخ الذي يدرس النظم المختلفة ، المستخدمة خلال العصور لتحديد الزمن ، وتمكن من تعيين تاريخ الأحداث

٢ - علم الجغرافيا :

إن التاريخ لا يجري عبر الزمن فحسب ، وإنما تجري أحداثه أيضاً وتنتشر في المكان ومن ثم فإن الحادث التاريخي على مستوى الفرد ومستوى الجماعات الإنسانية يسجل دائماً بإحداثيات مزدوجة ومترابطة وهي إحداثيات الزمان ، وإحداثيات المكان . والمكان هو المحيط

الجغرافي الذي يعيش فيه الفرد أو الجماعة فإذا كانت الكرونولوجيا هي القاعدة الأولى الضرورية لفهم التاريخ فإن علم الجغرافيا هو الأساس الثاني لإدراك كثير من الأمور فيه .

٣ - علم الخرائط التاريخية :

اهتم هذا العلم أول ما اهتم ، بحدود الدول والتقسيمات الإدارية شأنه في ذلك شأن الجغرافية التاريخية والخرائط التاريخية هي خرائط علمية معاصرة تشمل خلاصة أبحاث تهدف لتمثيل ظاهرات تاريخية معينة . فظهرت في أوروبا عدة أطالس تاريخية تقدم وصفاً لجميع مظاهر التاريخ في مختلف دول أوروبا الوسطى ، وضمن نظام معين ، ولم تلبث أعمال المؤرخين والجغرافيين على السواء أن فتحت الباب لمسالك جديدة، كخرائط للهجرات وأخرى للغابات القديمة وللحصون الإقطاعية وغير ذلك من الأمور .

٤ - علم اللغات أو الألسن:

هذا العلم الذي يدرس وسيلة للتعبير عن الأفكار واللغات، وهذا العلم مع علم الآثار من العلوم التي طورت علم التاريخ ، ودفعته قدماً من القرن الثامن عشر حتى الآن، ومن الواضح أنه لابد للباحث التاريخي مبدئياً من معرفة اللغة الأصلية الخاصة بالموضوع التاريخي الذي يقوم بدراسته أي لابد للباحث في تاريخ اليونان من معرفة اللغة اليونانية القديمة ، وفي تاريخ أوروبا في العصور الوسطى من معرفة اللغة اللاتينية ، وفي تاريخ فرنسا في العصور الحديثة من إتقان اللغة الفرنسية وهكذا، وفي الواقع كلما تعددت اللغات التي يلم بها الباحث ، فإنه يكون أقدر على الرجوع إلى الأصول والمصادر التاريخية الأولى وإدراك الحقائق من مكانها المباشر بدلاً من الاعتماد على الترجمات التي قد تشوه المعاني الأصلية وتحرفها .

٥ - علم الآثار:

إن الكشف الأثري في القرن التاسع عشر وتوسعها قدمت خدمات لمنهجية البحث التاريخي أكبر مما قدمه علم الألسن إلا أنها وسعت مفهوم الشاهد الماضي بشكل حقيقي وملمس وأغنت المادة التي يقتبس منها التاريخ معارفه، لقد كان المصدر الوحيد لإعادة بناء

الماضي حتى نهاية القرن الثامن عشر الشاهد الكتابي والرواية الشفوية المنقولة عبر التدوين الكتابي، غير أنه من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهر الاهتمام بشكل واضح إلى محتوى الآثار من القدم أو ما تحتفظ به ، وما تحمله إلينا وتوحي به من حقائق وصور عن عصر مضى .

٦ - علم الوثائق:

والوثائق في المعنى العام تدل على كل الأصول التي تحتوي على معلومات تاريخية دون أن ينحصر ذلك فيما دون منها على الورق ولكنها في المعنى الدقيق الذي اصطلح عليه الباحثون في التاريخ ، هي الكتابات الرسمية أو شبه الرسمية - مثل الأوامر والقرارات والمعاهدات والاتفاقيات والمراسلات ، والكتابات التي تتناول مسائل الاقتصاد أو التجارة ، أو عادات الشعوب أو نظمهم وتقاليدهم وما يصيبهم من قوة أو ضعف ، أو المشروعات أو المقترحات المتنوعة التي تصدر عن المسؤولين في الدولة أو التي تقدم إليهم أو المذكرات الشخصية أو اليوميات، وينبغي على دارس التاريخ أن يتعلم الطريقة النقدية التحليلية في دراسة الوثائق التي لا يزال تتبع حتى الآن

٧ - علم النقود أو علم النميات (المسكوكات) :

وهو علم يعالج وصف النقود وتاريخها ، ويقدم شواهد غنية للتاريخ فهو علم مساعد هام للتاريخ إذ هو مصدر للمعرفة التاريخية . والنقود بما سُك عليها من صور لملوك وملكات ، أو لمظاهر اجتماعية أو دينية ، تهتم أيضاً الباحثين في علم الجمال أو تاريخ الفن، وفي الحقيقة أن ما يعطي دراسة النقود أهمية كبيرة هو أنها تحوي معلومات من الدرجة الأولى عن البنية السياسية والاجتماعية

٨ - علم النقوش الكتابية :

وهو علم من العلوم المساعدة للتاريخ ، يدرس المسجلات على مادة دائمة البقاء كالحجارة والمعدن، والنقوش قد تكون مدونات على القبور ، ومعظم القديمة منها تحظر على

الأحياء الإساءة إلى القبر أو استخدامه ، وتوضح العقوبات الدينية أو القانونية التي يمكن أن تلحق بالفاعل . وقد تتضمن كما هو الحال في شواهد القبور الإسلامية ، اسم الشخص وتاريخ وفاته وآيات قرآنية ، وآيات شعرية أو جملاً تترحم على المتوفي أو تثني عليه، وقد تقوم السلطة أو المدينة أو الأفراد بهذا التدوين على جدران المدن أو المعابد أو المنازل أو غيرها

٩ - علم الأنساب:

إن علم الأنساب علم قديم أنه دراسة تسلسل نسب الأفراد وتتابع الأجيال وقد كان هذا اللون من المعرفة ناسياً جداً عن العرب في العصر الجاهلي وعاد إلى القوة والانبعاث في العصر الأموي نتيجة الصراع القبلي القائم، وكان هدف هذا العلم التمييز بين القبائل، وبين الأسر واستمرار ملكية الأراضي ، تعيين النسل الحقيقي لقبيلة معينة مختارة. وفي العصور الوسطى في أوروبا كان الهدف من هذا العلم إثبات نبالة الفرد ، أو الأسرة للتمتع بإمтиازاتها المختلفة . إلا أن هذا العلم في الفترة المعاصرة لم يعد يهتم بأسر النبلاء وإنما بكل الأسر، أما فائدته بالنسبة للتاريخ فإنه يساعد على إبراز صلات القرابة في كثير من الأمور الهامة كالتحالفات والحروب والمعاهدات وانتقال الأرض والحقوق والأقارب ، وبذلك يقدم العون له في تفسير كثير من القضايا .

١٠ - علم الاقتصاد:

وهو من العلوم الأساسية المساعدة للتأريخ وهو يدرس مجموعة سلوك البشر تجاه الموارد الطبيعية وما ينتجونه في حقلها ، وما يقدمونه من خدمات أي يدرس تلك الظواهر الاجتماعية الناجمة عن فعالية الناس وأعمالهم لإرضاء حاجاتهم المادية ويدخل فيه بالطبع دراسة النظم الاقتصادية المختلفة عبر العصور .

١١ - الديموغرافيا (علم السكان):

وهو من العلوم المساعدة للتأريخ فدراسة السكان وعددهم وتكاثرهم وأعمارهم وتوزيعهم بين ذكور وإناث ، وصفاتهم الأساسية ، ودخولهم ، ومواقعهم من الحياة ذات أهمية بالغة في

التاريخ ، وفي تفسير كثير من أحداثه وقد كان علم السكان يهتم أولاً بالناحية الإحصائية فحسب ، إلا أنه أخذ اليوم يلتفت أكثر فأكثر إلى صفات السكان المختلفة.

١٢- علم الاجتماع:

وقد ساعد هذا العلم التاريخ في دراسة العلاقات الاجتماعية ومظاهرها المتنوعة . إن تاريخ الأسرة ودورها في الاقتصاد ، والانتقال من الأسرة الأبوية إلى الأسرة الزوجية ، والانحلال التدريجي للتضامات الأسرية ، كلها تبدو واقعاً هاماً ، كما أن هناك قضية العلاقات بين الدين والوسط الاجتماعي والنمو الاقتصادي ، وغيرها من القضايا الكبرى التي تسعى علم الاجتماع لدراستها.

١٣- علم الإحصاء:

وهذا العلم من العلوم الهامة المساعدة للتاريخ فدراسة الأرقام قد تكشف أحياناً مظاهر مهمة ، وتوسع آفاق التفسير التاريخي . فالتطور أو التزايد السكاني في القرن الثامن عشر مثلاً ، كان عاملاً هاماً في كثير من التطورات الاقتصادية والسياسية ، بل أن نسبة الشباب في السكان كان سبباً من أسباب الثورة الفرنسية . فالإحصاء إذاً الاستفادة من الأرقام هام جداً في التاريخ .

١٤- علم النفس:

ان المؤرخ بحاجة لعلم النفس في كل خطوة من خطوات عمله ولاسيما في مرحلة النقد التاريخي ، وفي مرحلة التركيب ، إذ يعينه على فهم نفسيات الماضي ، وكيف يتغلغل في مشاعر رجال بيئة معينة ، وكيف يفسر سلوكهم والعلاقات القائمة بينهم. كما يساعده أيضاً على رؤية العالم والغير بعيونهم نفسها، وهذا هو المطلب الموضوعي للتاريخ.

١٥ - الأدب :

وإذا كان علم النفس من المعنيات الأولى للمؤرخ في عمله ، فإن الأدب هو تعبير عن أفكار الإنسان وعواطفه ونفسيته والراسم لنواح مختلفة من حياته الواقعية وسط الجماعة ، ومن حياة الجماعة نفسها ، وهو مادة أساسية ، ومصدر هام لا غنى للمؤرخ عنه فالأدب العربي في العصر الجاهلي مثلاً يساعد الباحث التاريخي على إدراك نواحي مختلفة من الحياة الجاهلية فالشعر كما قال ابن خلدون هو ديوان العرب ، فهو ينبئ عن كثير من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، وعن الاتجاهات الفكرية في المجتمع العربي الجاهلي ، والشئ ذاته يقال عن أي أدب في أي عصر .

١٦ - الفنون :

وكما أن معرفة الأدب في عصر من العصور عون كبير على فهم تاريخه فإن الفنون بأنواعها من رسم وتصوير وعمارة وتمثيل ونحت وموسيقى ورقص هي الأخرى مرآة للعصر ، تعكس حضارة المجتمع ، وتوضح كثيراً من مناحي حياته وتقاليده وتطلعاته .

وخلاصة القول يتضح مما ذكر عن العلوم المساعدة للتاريخ ، أن المعرفة التاريخية المنهجية تتطلب معرفة مجموعة من العلوم والمعارف . وكلما ازداد عرفان الباحث التاريخي بها ، توسعت آفاقه ، وكان استيعابه للأبحاث التي يقوم بها أجدى وأعمق .